شـــرح كتاب

كشف الشبـهات

تَصْنِيف الإِمَام المُجَدِّدُ

مُحَمَّد بِن عَبْدِ الوَهَّاب بِن سُلَيْمَان التَّمِيمِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ إننا نحمدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، أن يسرَ لنا أن نكون من عُمارِ مسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن جعلنا ممن يجتمعون في بيتٍ من بيوته، يتعلمونَ العلمَ النافع، ويتذاكرونَ الخير، «وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ».

نحمدُ الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعلنا ممن يغدونَ إلى مسجدِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يطلبون العلمَ، في مسجدِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، « مَنْ غدا إلىٰ المسجدِ لا يريدُ إلا أنْ يتعلَّمَ خيرًا أو يعلِّمَه كان له مثلُ أجرِ الحاجِّ تامٍّ حجُّه ومَنْ راح إلىٰ المسجدِ لا يريدُ إلا أن يتعلَّمَ خيرًا أو يعلِّمَه كان له مثلُ أجرِ حاجٍّ أو معتمرٍ تامٍّ له حجُّه وعمرتُه»، وَمَنْ أتى مسجدَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلمَ خيرًا أَوْ يُعلمه؛ فهو كالمجاهدِ في سبيل الله.

فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكتبَ لنا في مجلسنا هذا الفضلَ كُلّه، وأن يزيدنا من فضلهِ أضعاف أضعاف.

معاشر الفضلاء، نواصلُ درسنا في شرح كتاب كشف الشُّبُهَات هذا الكتابُ الصغيرُ في حجمه، الغزيرُ في علمه، الكبيرُ في فائدته، العظيمُ في عائدته، هذا الكتابُ الذي مَا قرأهُ موحدٌ إلَّا ازْدَادَ يقينًا بتوحيده، وصان توحيدهُ عَنْ الشُبهات، وما قرأهُ زالٌ عَنْ التوحيدِ بتجرد، إلَّا تبينَ لَهُ الحق، وزالَ عنه الإشكال، **وَقَدْ ذكرتُ لكم في مقدمة الكتاب: أن مقاصدَ الكتابِ ثلاثة:**

الأولُ: تثبيتُ الموحدين، ودفعُ الشُّبُهَاتِ عَنْ توحيدِهم.

والثاني: دعوةُ المُخالفين إلى توحيد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

والثالث: إقامةُ الحجة وإزالة الشُبهة عَنْ المُعاند.

وَقَدْ تقدمَ بحمد الله، شرحُ أكثرِ الكتاب، وَقَدْ جمعَ الشَّيْخُ أمهات شُبهاتِ القبوريين الذين يعكفون على القبور، وينذرون لأصحابها، ويدعونَ أصحاب القبور، ويستغيثونَ بهم، بل ويطوفونَ بالقبورِ، بل ويسجدونَ لها، كما رأينا ورأى غيرُنا، وشُبهات الذين يصرفونَ شَيْئًا مما لله لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، وفندها، وبيّنَ بُطلانها، وبيّنَ حقيقة الأَمْر.

ويجبُ أن تعلمَ أيُها المؤمن أن شُبهات المخالفين للتوحيد على قسمين:

القسمُ الأول: شُبهاتٌ تتعلقُ بنفيِ مُشابهةِ فعلهم لفعل المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيوردون شُبهاتٍ ينفونَ من خلالها أن يكون فعلهم كفعل المشركين الذين سماهم اللهُ مشركين وتوعدهم بالخلودِ في النَّار، ونابذهم رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم، وسماهم مشركين مَا داموا قائمينَ على تِلْكَ الحال.

فيُوردُ هؤلاء المتأخرون شُبهاتٍ ينفونَ بها مُشابهة الفعلِ للفعلِ، وهذه الشُّبُهَات قَدْ تقدمت معنا وَهِيَ الشُّبُهَاتُ التسعُ التي تقدمت، وناقشناها، وعرفنا بحمد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنها باطلة، وأن الفعلَ هو الفعل.

والقسمُ الثَّاني: شُبهاتٌ تتعلقُ بنفي اتحاد الحُكمِ بين هؤلاء المُتأخرين وأولئك المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون نُسلمُ لكم اتحاد صورة الفعل، لكن لا نُسلم لكم اتحاد الحُكمِ، وهذا هو الشُّبُهَات التي ستأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وإذا عرفتَ القسمين يزدادُ فهمُك لهذه الشُبهات وكيف يُردُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ تقدمَ أن هَذِه الشُّبُهَات يُردُ عليها ردًا إجماليًا، ويُردُ عليها ردًا تفصيليًا، وكما ذكرت: مرت بنا تِسعُ شُبهات تتعلقُ بالقسم الأول، عرفناها وعرفنا الردَ عَلَيْهَا، ونُكملُ مَا سطرهُ الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وجزاهُ عَنْ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خيرًا، ونعلقُ عليه.

فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا من حيثُ وقفنا.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ أشرف الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نبينا مُحَمَّد وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ، فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد شَيْخُ الإِسْلَام مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وجزاهُ عنا خيرًا، في رسالته "كشف الشُّبُهَات": فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المُشركونَ في وقتنا الاعتقاد هو الشركُ الذي نزلَ فِيهِ الْقُرْآن، وقاتلَ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عليه، فاعلم أن شركَ الأولين أخفُ من شركِ أهل زماننا بأمرين.

(الشرح)

لما تقدم بيانُ أن فعلَ هؤلاء المُتأخرين يُشبهُ ويُطابقُ فعلَ أُولَئِكَ المشركينَ في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبَيّنَا هذا بِالْأَدِلَّةِ اليقينية، وكشفنا الشُّبُهَات في هذا الأَمْر ورددناها، أرادَ الشَّيْخُ هنا أن يقول لك: إن الأَمْرَ ليس مُجردَ مُشابهة، بل فعل هؤلاء المتأخرين أقبح من فعلِ أُولَئِكَ المتقدمينَ من المشركين، وأشدُ شركًا من شركِ أُولَئِكَ المُتقدمين، فليس الأَمْرُ مجردَ مُشابهة ومطابقة، بل الأَمْرُ أبلغ وأعظم، فشرك هؤلاء أكبر وأعظم وأطم.

وَقَدْ بَيَّنَ الشَّيْخُ هنا أن تعلُقَ هؤلاء المُتأخرين بمن يُسمونهم الأولياء، ويدعونهم، ويستغيثونَ بهم ويصرفونَ لهم مَا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويسمونَ ذلك الاعتقاد، يقولون: نحن مُعتقدون، وهذا اعتقاد، وَقَدْ يُسمونه الاعتقاد الأكبر؛ **لأن الاعتقادَ عندهم نوعان:**

➤ **اعتقادٌ أصغر،** وَهُوَ الاعتقادُ في اللهِ فيما يتعلقُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ على انحرافٍ فِيهِ عندهم على طريقة الأشاعرةِ أَوْ غيرهم ويسمونه الاعتقاد الأصغر.

➤ **والنوعُ الثَّانِي: الاعتقادُ الأكبر،** وَهُوَ الاعتقاد في الأولياءِ الصالحين، وأنَ لهم تصرفًا، وأَنَّهُم ينفعونَ ويضرون، وأَنَّهُم يُجيبونَ مَنْ دعاهم، وأَنَّهُم يُنقذونَ من يستغيثُ بهم وهم مقبورونَ في قبورهم، وربما قَدْ أرموا وأكلت الأَرْض أجسادهم، هم لا يستطيعون دفع الدودِ عنهم في قبورِهم، وَهَؤُلَاءِ يعتقدونَ أَنَّهُم يُفرجونَ الشدائدَ، ويتصرفونَ في الكون، ويُسمونَ ذلك اعتقادًا تزيينًا لَهُ.

والعبرةُ بالحقائقِ لا بالأسماء؛ فهذا الذي يسمونه الاعتقاد هو الذي سماهُ ربُنا شركًا، وَهُوَ الذي سماهُ نبيُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شركًا، فلا ينفعهم أن يُسموا ذلك بالاعتقادِ شَيْئًا.

أقولُ: بَيّنَ الشَّيْخ أن تعلقَ هؤلاء بأولئك المقبورين وَمَنْ يسمونهم أولياء أشد من تعلق المُشركينَ في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين كفرهم وقاتلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسماهم الله في كتابه، وسماهم رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشركين، أشدَ من تعلق هؤلاءِ بآلهتهم، وأبعدَ عَنْ التوحيد.

ولذلك قال لك: (**فإذا عرفتَ**) أي بما مضى من المقدمة وكشف الشُّبُهَات المُتقدمة، (**أن هذا الذي يُسميه المشركونَ في وقتنا الاعتقاد**)؛ وَهُوَ التقربُ إلى المقبورين وسؤالهم والاستغاثةُ بهم (**هو الشرك**)، هَذِه حقيقته بلا ريب، (**الذي نزل فِيهِ الْقُرْآن، وقاتل رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس عليه**).

وعرفتَ مُطابقةَ الحالِ للحال، (**فاعلم**)، وقال شيخنا هنا: (**فاعلم**) لأن الأدلةَ الدالةَ على ذلك صريحةٌ من الْقُرْآن، فهي تدلُ على العلمِ بلا شك، (**فاعلم أن شركَ الأولين أخفُ من شركِ أهلِ زمانِنا**) فالمسألة ليست مجرد مُشابهة، لا، شرك هؤلاءِ أعلى وأقبح (**من شركِ أُولَئِكَ بأمرين**)، يعني أنه أقبح وأشد بأمرين.

الحقيقة أن مقصود الشَّيْخ أن هذين الأمرين أظهر مَا يكون، وإلا فهناك أمورٌ أُخرى، يعني هذا ليس حصرًا، وإنما هذا أوضح مَا يكونُ في ذلك، وَقَدْ بَيّنَ الأمرين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أَحَدُهُمَا: أن الأولينَ لا يُشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ أَوْ الأولياءَ أَوْ الأوثان مع اللهِ إلَّا في الرخاء، وأما في الضُرِ والشدة فيُخلصون لله الدين.

(الشرح)

نعم، المشركونَ في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن شِركهم مُطبقًا، وكانوا يُوحدونَ أحيانًا ويشركون أحيانا كانوا في الرخاءِ يشركونَ بالله، يعرفونَ الله ويُشركونَ به، ويقولونَ: لا شريك لكَ إلَّا شريكًا هو لك تملكهُ وما ملك.

أما في حال الشدة والكرب واشتداد الأَمْر؛ فَإِنَهُم ينسونَ مَا يُشركون، ويوحدونَ اللهَ ويدعونَ اللهَ مُخلصينَ لَهُ الدين، حَتَّى ذكرَ بعضُ السلف أَنَهُم كانوا يحملونَ أصنامهم معهم، فإذا جاءت الشدة رموا أصنامهم، ووحدوا اللهَ ودعوه مُخلصين لَهُ الدين.

كانوا إذا ركبوا في الفُلك وسارت الفُلك بهم بريحٍ طيبة؛ يُشركونَ بالله، ومعهم أصنامهم يعبدونها، فإذا اغتلمَ البحرُ وهاج، وتلاطمت الأمواج، وجاءتهم الرِيحُ من كُلِّ مكان، وخافوا الغرق؛ نسوا الأصنامَ تمامًا، بل ذكرَ بعضُ السلف: أَنَّهُم يرمونها في البحرِ تخلصًا منها، ويدعونَ اللهَ مُخلصينَ لَهُ الدين، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في حقهم: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢] ماذا؟ ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢]، بل ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، يدعون الله مخلصين لَهُ الدين، ويُعاهدونَ الله على التوحيد إذا نجاهم.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣]، فلما نجاهم من هَذِه الكُربة رجعوا إلى الشِرك ولم يفوا بعهدهم، هَذِه حالهم.

وقال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، إذا ركبوا في الفُلك وخافوا الغرق؛ نسوا أصنامهم، ونسوا شركهم، ودعوا الله وحده، وقالوا يا الله، وليس هذا خاصًا بالبحر، **وإذا نجاهم إلىٰ البر إذا هم يشركون**.

وليس هذا خاصًا بالبحر، ألا ترونَ أنه عندما جاء أصحاب الفيلِ يُريدونَ هدم الكعبة، وَقَدْ كان كُفار قريش يدعونَ الأصنام ويتقربونَ لها، فلما جاء أبرهة علموا أن هَذِه الأصنام لا تدفعُ عنهم شَيْئًا، فدعا عبد المطلب ربه؛ رَبَّ البيت أن يحمي بيته، ولجأوا هم إلى الجبال، فلما زالت الكُربة رجعوا إلى أصنامهم، ورجعوا إلى شركهم.

إذًا، مما يجبُ أن يعتقده المؤمن اعتقادًا جازمًا، ولا يجوزُ أن يشكَ فِيهِ، أن المُشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُشركونَ في وقت الرخاءِ والسراء، أما في وقت الضُرِ والشدةِ والكرب؛ فكانوا يدعونَ الله مخلصين لَهُ الدين.

لا يجوزُ لمن يُؤمنُ بالقرآن يشكَ في هذا أبدًا، لأن هذا نصُ الْقُرْآن، وصريحُ الْقُرْآن، خبرٌ لا يلحقهُ نسخ، ونصٌ لا يحتملُ تأويل، هو نصٌ لا يحتمل تأويلًا ولا يُمكن أن يتطرق إليه التأويل، وخبرٌ لا يحتملُ النسخَ والرفع، يقرأه الموحدُ وغيره.

فيجب على المؤمن أن يعتقدَ هذا اعتقادًا جازمًا، وَقَدْ ذكر الشَّيْخ أيضًا بعض الأدلة التي تدلُّ على هذا دلالةً قطعية.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

(الشرح)

هذا الخطابُ للمشركين، فِيهِ تحريكٌ للعقولِ لو كانت لهم عقولٌ يفقهونَ بها، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾، يعني عنكم ولا تلتفتونَ إليه، ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾، انتبهوا! ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ معنى ذلك أَنَّهُم في الرخاء يدعونَ الله وغيرهَ، مَنْ تدعون؟ هذا يدعون الله وغيرهُ، فما كان دعاؤهم خالصًا للأصنام والآلهة بل كانوا يدعونَ الأصنامَ والآلهة ويدعون الله، ولكن لا يدعون الله إلَّا وهم مشركون.

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عَنْ هذا التوحيد، واشركتم ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾، لو كانت لهم عقول، لو كان هؤلاءِ آلهة، لكانوا آلهةً في الرخاءِ والشدة، ولكنهم يعلمون في حال الشدة أنها ليست آلهة وأَنَهَا لا تنفع وأن الذي ينفع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَوْلُه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

(الشرح)

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾، أتتكم شدة، أتتكم كُربة، أتاكم شيءٌ عظيم، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾؟ لا والله، لا شكَ أن الإنسانَ إذا عاين الموتَ وفارق الدُّنْيَا وأقبل على الآخرة يُدركُ أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لكن هذا لا ينفعه.

وهذا مَا حصل لفرعون، لما غشيه البحر وبدأت الروحُ في الخروج أيقن أنه لا إله إِلَّا الَّذِي آمنت به بنو إسرائيل، لكن هذا لم ينفعه.

فالمشركونَ إذا أتاهم عذابٌ من الله أَوْ شدة أَوْ كُربة، لا يدعون إلَّا الله، قال الله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإن كنتم صادقين ستقولونَ: لا ندعوا إلَّا الله؛ لأن هذا الواقع منكم، بل تحقيقًا إياه حصرًا تدعونَ، بل إياهُ تدعون؛ هذا يَدُلُّ على الحصر المُطلق، بل للتحقيق، وتقديم إياه للحصر المطلق.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾، والله يُجيب المضطر ولو كان مشركًا، الله يُجيب المضطر إذا دعاه ولو كان مشركًا، سُبْحَانَهُ من رحيمٍ حليم، ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

وكما قُلتُ لكم: قال بعضُ السلف: إذا كانت أصنامهم معهم يرمونها ويُخلصون الدُعاءَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨] إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

(الشرح)

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ دعا ربه لا غيره، مُنيبًا إليه راجعًا إليه، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ أجاب دعاءه وكشفَ ضُره ورزقه النعمة، ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أنهُ إن نجاه الله من هذا يكونُ من الشاكرين.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقَوْلُه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **الآية** [لقمان: ٣٢].

(الشرح)

فكُلُّ هَذِه الآيات تدلُ على مَا ذكرناه.

فانظر رعاك الله، كيف أن أُولَئِكَ المشركينَ بحُكم اللهِ عليهم وحُكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم كانوا يعرفون الله، ويدعون الله، ويعتقدون قُدرته وأنه هو الذي يُنجيهم، فعند الشدائدِ ينسونَ آلهتهم ويُخلصونَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويدعونه مُخلصينَ لَهُ الدين، فيوحدونَ الله في هَذِه الحال ويرجعون إلى فطرة الله التي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ التوحيد فلم تكن فطرتهم مغمورةً دائمًا، ولم يكن

دُعاؤهم غير الله مستمرًا دائمًا، بل في حال الشدةِ والكرب يدعونَ الله عَزَّ وَجَلَّ مُخلصينَ لَهُ الدين ولا يدعون غيره أبدًا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فمن فهمَ هَذِه المسألةَ التي وضحها الله في كتابه وَهِيَ: أن المشركينَ الذين قاتلهم رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونَ الله ويدعونَ غيره في الرخاء، وأما في الضراءِ والشدة فلا يدعونَ إلَّا اللهَ وحده لا شريك لَهُ وينسونَ ساداتهم، تَبَيّنَ لَهُ الفرق بين شركِ أهل زماننا وشرك الأولين.

(الشرح)

وأن شرك أهل زماننا أشد؛ وذلك أن هؤلاءِ المتأخرين يدعونَ غير الله في الرخاءِ وفي الشدة، بل هُم في الشدةِ والضراء أشدُ شركًا فلا يذكرونَ الله أبدًا، فإذا نزلت بهم نازلة أَوْ أصابتهم شدة لا تتعلقُ قُلُوبُهم إلَّا بسادتهم، ولا يذكرون الله، فلا يُسمعُ منهم إلَّا الغوثَ يا سيدي فلان، إذا نزلت المُصيبة والبلاء والشِدة لا يدعون الله، وإنما ينادون السادة الغوث الغوث يا سيدي فُلان، الغوث يا الاوتاد، الغوث يا سيدي عبد القادر، الغوث يا سيد العيدروس، الغوث الغوث -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-.

يعتقدونَ ذلك بقلوبهم وينطقونه بألسنتهم، إذا جاءتهم الشدة، أين تذهبُ قلوبهم؟ واللهِ لا تذهبُ إلَّا إلى سادتهم، ولا تتعلقُ إلَّا بسادتهم، وتنطقُ ألسنتهم بما في قلوبهم، ويُنادونُ السادة، وهذا الأَمْرُ لا يحتاجُ إلى دليل؛ فَكُلُّ مَنْ يعيشُ مع هؤلاءِ القوم يُدركُ هَذِه الحقيقة، إذا اشتد الكرب قال: نزور سيدي أبي العباس المرسي، المرسي أبي العباس، نضع حاجتنا عنده.

◄ قال: المرأة لها سبع سنين مَا تلد؟

قال: اذهبي إلى قبر السيدة زينب.

◄ الرجل تعطل مَا عنده وظيفة؟

قال: عليك بقبر الإمام الشافعي.

وهذا لا يَشكُ فِيهِ عاقل، ولا يستطيعون نفيهُ، إن كانوا صادقين، بل -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- يُقررون ويُرددون ويُقعدون: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور.

بل وينسبون ذلك إلى رَسُول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحةً أَوْ خُفيةً، صراحة بأن يقولون: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور. أَوْ خُفيةً بأن يقولون: قال هذا سيدي فُلان وَهُوَ لا يقولُ إلَّا عَنْ سيدي رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هم عندهم أشياء يأخذونها بزعمهم عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا علمَ الصَّحَابَة، ولا علمَ بها التابعون، ولا علمَ بها الأئمة الأربعة، وإنما تسلسلت إلى الأولياء.

يقوم قائلهم في هذا الزمان ويقول: أنا أعتقد أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أخرج يده لسيدي فلان وأعطاه كذا، حَتَّى سمعتم من يقول: هَذِه العمة أخذتها بالسند إلى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس بيني وبين رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا أبي، يعني أبوه صحابي، وَهُوَ تابعي يعيش حي الآن، موجود.

فيُمررون على النَّاس أشياء يقولون: قالها سيدي فُلان الولي، وحتى أحيانًا يكذبون على هؤلاء الذين يسمونهم السادة الأولياء، والسادة مَا يقولون إلَّا من معين رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -شرف الله رسوله عَنْ كذبهم هذا-.

وهذا موجود من قديم، حَتَّى أنه عندما نزل التتر ببلاد المُسْلِمِيْن وفعلوا مَا فعلوا، كان يقول قائلهم: يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عُمَر. -لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ-.

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عُمَر.

ولازالوا إلى اليوم يردون النَّاسَ إلى القبور، بل من أعجبِ مَا سمعت أن رَجُلًا جاء إلى شيخ منهم وقال يا شيخ أنا فعلت كبيرة، سرقت أُريد أن اتوب، كيف أتوب؟ قال: اذهب إلى قبر الحسين وطوف سبعة أشواط، ثُمَّ تب. دعاه إلى الشرك ليتوب من كبيرة، -نعوذ بالله من سوء الحال-.

وهذا أمرٌ لا يُشكُ فِيهِ، فهؤلاء المتأخرون فطرتهم مغمورة دائمًا، وشركهم مستمرٌ، في حال الرخاءِ والشدة، إذا دعوا الله أشركوا معه غيره، واعتقدوا أن غيرهُ ينفعُ من دونه، وغالبا يُخلصون دعاءهم لغير الله، لأصحاب القبور، فشركُ أُولَئِكَ العُتاة في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخفُ من شرك هؤلاء، وعقولُ أُولَئِكَ العُتاة أحسن من عقول هؤلاء، وفطرُ أُولَئِكَ العُتاة أسلم من فِطر هؤلاء، وهذا تفاضلٌ في الظلالِ والشركِ لا يُسقطُ أحدهم عَنْ درجة الشرك، لكنها ظُلماتٌ بعضها أشدُ من بعض.

نحنُ لا نهونُ من شرك أُولَئِكَ؛ بل هم مشركون أبغضهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاداهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكما قلنا يا إخوة سابقًا، ذكرنا قاعدة: أن التفاضل في الكمال لا يستلزمُ نقصًا.

➤تذكرون القاعدة، وقلنا لكم مثلًا: إن كلام الله يتفاضل، فبعضهُ أفضل من بعض، هذا التفاضل في الكمال لا يستلزمُ نقصًا.

➤أهل الجَنَّة يتفاضلون في النعيم، هذا تفاضل في الكمال؛ لا يستلزمُ نقصًا.

➤الأنبياء عليهم السلام يتفاضلون، وهذا تفاضل في الكمال؛ لا يستلزم نقصًا.

فكذلك التفاضل في الظلال؛ لا يستلزم خيرًا.

عندما نُفاضل بين أهل الضلال لا يعني هذا أن الأخفَ على خير، بل الكل على شرٍ وظلالٍ وشرك، ولكن كما قلنا: لكنها ظُلمات بعضُها أشد من بعض، والكُلُّ شِركٌ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ولكن أين مَنْ يفهمُ قلبه هَذِه المسألةَ فهمًا راسخًا.

(الشرح)

نعم انتبهوا يا إخوة! (**ولكن أين من يَفهمُ قلبُهُ؟**) العبرة بالفهم فهم القلوب، وإلا فالقرآن الكُل يقرأه، يقرأون الآيات هَذِه الآيات التي قرأناها يقرؤونها، ولكن لا يقفون عندها، ولا تُؤثرُ فيهم، يختمُ أحدهم جُزءًا من الْقُرْآن، وأنتم تعلمون يا إخوة أن الْقُرْآنَ كُلَّهُ توحيد. وإذا ختم قام إلى صاحب الْقَبْر.

ليست العبرةُ بالقراءةِ ولا بالسماع، ولكن العبرةَ بفهم القلوب، -فنسأل الله أن يرزقنا فهمًا سليمًا، وأن يهدينا سواء السبيل-، لكن أين من يفهمُ قلبه هَذِه المسألة؟ فهي مع يقينية الدلالةِ فيها؛ مَا يقف عندها كثير من النَّاس، ولا يفقهونها ولا يفهمونها، بل ربما حملوا آيات التوحيد على الشِرك، كما نسمع من بعض خُطبائهم يذكر آيات في التوحيد ليقرر بها شركًا، -نعوذ بالله من انتكاس الفهم-.

وهذا يدعوك يا عبد الله أن تحمد الله أن جعلكَ موحدًا، وأن جعلك تفهم نصوص الكتاب والسُنَة فهمًا سليمًا، لأنك سلكت الطَّرِيق وَهُوَ الرجوع إلى فهم صحابة رَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يقطعُكَ عنهم قاطع بسلسلةٍ من نورٍ متصلة من عُلمائنا إلى صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يروي السُنّي عَنْ السُنّي عَنْ السُنّي، عَنْ رأسِ أهل السُّنَّة صحابةِ رَسُول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الذين يروون عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورباهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلمهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاحمد الله يا عبد الله أن جعلك هكذا، والله يا إخوة كُلُّ مَنْ خالفَ أهلُ السُّنَّة والجماعة، ينقطعُ دونَ صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّ الفِرق، انظر إلى أعلى مَا تصل إليه في عقيدتها، في تقريرها، الأشاعرة إلى أين يصلون؟ إلى أبي الحسن الأشعري، مَا يرتفعون بعده. وأبو الحسن الأشعري قَدْ تركَ مَا يعتقدون ورجعَ إلى عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة، فهم على عقيدتهِ الوسطى، لأَنَهُ مر بثلاث مراحل، ومات على عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة، وهكذا كُل فرقة.

أما أهل السُّنَّةِ والجماعة فيتصلون إلى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بإسنادهم المُتصل لا بالإسناد المُدعى، وأن الولي الذي كان في القرن السَّادِس ولا السَّابع قال لَهُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا وكذا -نعوذ بالله من الكذب-، وَلَا شَكَّ أن هذا تعمد الكذب على رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من أشد الكذب، وأقبح الكذب، هذا الأَمْر الأول.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والأمر الثَّانِي: أن الأولين يدعون مع الله أُناسًا مقربين عِنْدَ الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أَوْ يدعون أحجارًا وأشجارًا مُطيعة للهِ ليست عاصية.

(الشرح)

الأَمْرُ الثَّانِي الذي يُبَيِّنُ لك أن شركَ هؤلاءِ المُتأخرين أشد قُبحًا من شرك أُولَئِكَ المتقدمين، وإلا فالكُلُّ شِرك: أن الأولينَ يدعونَ مع الله أُناسًا يعتقدونَ صلاحهم أَوْ يعلمونَ عنهم الصلاح، فنصبوا أصنامًا بأسمائهم يعبدونها لتقربهم إلى اللهِ زُلفى.

وبعضهم يعبدون الأنبياء عليهم السلام، أَوْ الملائكة، أو أُناسًا يعتقدونَ صلاحهم -كما قلنا-، أَوْ يدعونَ جماداتٍ لا تدركُ مَا يفعلون وَهِيَ في ذاتها مُطيعة لله، لأن كُلَّ شيءٍ يُسبحُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن كُنَّا لا نفقهُ تسبيحهم.

فيدعونَ أحجارًا، ويدعونَ أشجارًا؛ وَهِيَ تُسبحُ الله والله أعلمُ بها، وَهِيَ ليست عاصية.

فالأولون لا يعبدون من يعرفون عنه عصيانًا، وإنما يعبدون من يعتقدون أنه مُطيع أَوْ يعبدونَ جماداتٍ هِيَ في حقيقتها مُطيعة، وهذا واضح وبَيّن.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وأهلُ زماننا يدعونَ مع الله أُناسًا من أفسق النَّاس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجورَ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

(الشرح)

ليس مرادُ الشَّيْخَ أن يقولَ: إن كُلَّ الذين يدعونهم هؤلاء المتأخرون يتصفون بهذه الصفة، وإنما مُرادُ الشَّيْخِ أَنَّهُم يدعون بعضَ الفُساق الذين صدرت عنهم طوام ومخازي، هم يحكونها عنهم، لا تُدعى عليهم بل هم يحكونها عنهم قولًا أَوْ فعلًا، وَقَدْ يعتذرونَ لهم، ويقولون: إنَّمَا قال هذا لغياب عقله من شدةِ وجدهِ، ويجعلون العجيب أَنَّهُم يحكونَ أمورًا لا شك في كونها خِزيًا وفسقًا بل كُفرًا أحيانًا، ويجعلون ذلك كرامة للشيخ.

السيد البدوي الذي يُحتفلُ به في بعض بلاد المُسْلِمِيْن ويقيمون لَهُ ثلاث موالد، كأنه ولد ثلاث مرات، ومولده عجيب، يحكونَ عنه وَقَدْ ذكر ذلك السخاوي: أنه في يوم الجُمعة كشف عَنْ عورته أمام النَّاس وبالَ في ثيابه وقعدَ ولم يُصلي، -الله أكبر!-، يعدونها كرامة، كشف عَنْ عورته وبال في ثيابه وقعد ولم يُصلي، هم يحكون هذا عنه، والبدوي يا إخوة ممن عُبدَ ورضي، وكان النَّاس يأتونه ويسألونه الحاجات، تأتيه المرأة تقول: استودعتك أولادي، ويأتيه الرجل يُريد أن يُسافر ويقول: استودعتك مالي، وهذا معروف.

على كُلِّ حال، يحكون طوامًا، عَنْ أُولَئِكَ الذين يتقربون إليهم، ويحكون زندقة عجيبة عنهم كالقول بوحدة الوجود، والقول بأن الرب عبدٌ والعبد ربٌ، قال أحدهم: مَا في الجُبة إلَّا الله، وبالتالي لا يُحرمون حَتَّى الفروج، لأَنَّهُ عندهم ثُمَّ الله -نعوذ بالله من ذلك-، ويحكون عَنْ بعضهم أَنَّهُم كانوا يأتون المُردان، هم يحكون ذلك، ومن قرأ كُتب القوم وجدَ مَا لا ينقضي منه العجب، ومع ذلك يدعونهم.

خُلاصةُ الكلامِ: أن المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كانوا يدعون من يعتقدونَ فسقهُ، أَوْ مجيئهُ بالطوام، أما هؤلاء المُتأخر فقد يدعونَ مَنْ يأتي بالفسق يقينًا، بل مَنْ يأتي بالزندقةِ يقينًا، بل مَنْ يأتي الْكُفْر الذي لا يُشكُ فِيهِ.

وَلَا شَكَّ أن الذي لا يدعو إلَّا من يعتقدهُ صالحًا أصلحَ عقلًا من يدعو الصالح والطالح، وأخف شركًا. وإن كان كما قلنا يا إخوة، القاعدة: أن هذا تفاضل في الشرك، تفاضل في الضلال، لا يقتضي نقصًا عَنْ الشرك، أَوْ سقوطًا عَنْ الشرك.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والذي يعتقدُ في الصالح، والذي لا يعصي مثل: الخشبِ والحجر أهون ممن يعتقد فِيمن يُشاهدُ فسقهُ وفساده ويشهدُ به.

(الشرح)

الشَّيْخ ذكرَ هذين الأمرين، وهناك أمرانِ آخران ظاهران يُبينان لك أن شرك هؤلاء المتأخرين أقبح وأشد من شرك المتقدمين:

الأول منهما: أن المشركين الأولين مُقرون بالربوبية، ولا يجعلون فعل الله لغير الله، من الرزق والإحياء والإماتة والتدبيرِ وغير ذلك، وَقَدْ تقدمت الأدلةُ على ذلك.

أما هؤلاء المتأخرون فيُشركون حَتَّى في الربوبية، ليس شركهم خاصًا بالألوهية، بل يُشركون حَتَّى في الربوبية، فيعتقدونَ فيمن يتقربونَ إليهم أَنَّهُم يتصرفونَ في الكونِ، بل منهم من يعتقد أن السماوات السبع والأراضين السبع قائمة على الأوتاد السبعة من الأولياء، هم الذين يُحركونها، وهم الذين يُصرفونها، ويعتقدونَ أن هؤلاءِ المتقربَ إليهم يُرزقونَ من دونِ الله، ويُحيونَ الموتى من دون الله.

وذكرت لكم القصة التي يُكررونها: أن امرأة مُريدة للشيخ جاءت إليه وقالت: إن ملك الموت قَدْ قبض روح ابني، فصعد الشَّيْخ إلى السَّمَاء، ووجد ملك الموت في الطَّرِيق، لكن الشَّيْخ نسي أن يسأل المُريدة عَنْ اسم ابنها، طيب هو شيخ يعرف؟ لكن مَا يفهمون، فلقي ملك الموت ومعه الزنبيل وَفِيهِ الأرواح، مَا يعرف الشَّيْخ اسم ولد المريدة فأخذ الزنبيل ونثره، فعادت كُلُّ الأرواح التي قُبضت في تِلْكَ الليلة إلى الأجساد، الله أرادَ قبض أرواحهم وانتهى أجلهم وقبضَ الملكُ أرواحهم وهذا الشَّيْخ ردها، يعتقدون هذا ومذكور كتبهم ويتدارسونه ويتباكون عليه، والله الله.

بل من رؤوسهم اليوم مَنْ يُصرح أن الوليَّ يقدرُ على أن يخلقَ الولدَ في بطن أمه، ولولا اختلاطُ الأنساب لفعل، موجودُ وحي اليوم، لا تقل هذا كلام الأولين والآن النَّاس تطوروا، يقول الولي يقدر على أن يخلقَ الجنين في بطن أُمه، عنده قُدرة لكن مَا الذي يمنعه؟ الخوف من اختلاط الأنساب، لو

خلق الولي الجنين في بطن هَذِه المرأة وَهِيَ زوجة لفُلان وليس من مائة، يصير اختلاط أنساب، -أَعُوذُ بِاللَّهِ-.

هكذا يعتقدون عندهم شِركٌ حَتَّى في الربوبية، وَقَدْ ذكر الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن هذا، وذكرَ أَنَّهُم يعتقدونَ أن آلهتهم من الأمواتِ يتصرفونَ في الكونِ دونَ الله، وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ سمعنا ذلك منهم مشافهة، واللهِ قَدْ قرأنا ذلك في كُتبهم، وسمعنا اليوم منهم مَنْ يقول ذلك.

○ **والأمرُ الثَّانِي من الأمرين الزائدين على مَا ذكره الشَّيْخ:** أن كثيرًا منهم يرجون مَنْ يدعونَ أعظمَ من رجائهم من الله، ويخافونَ خوفَ السرِ مَنْ يدعونهم أعظم من خوفهم من الله، كثير منهم يُصرحون ويقولون: إن الولي إذا دعوته أجابَ دُعاءكَ وفرجَ كربك لا يتأخر، أما الله فقد يُجيبُ وَقَدْ لا يُجيب.

وذلك ذكر أحد الشيوخ: أن امرأة أصابها شيء فكانت تقول يا متولي يا متولي يا متولي، فلما هدأت قال لها الشَّيْخ: لماذا لا تدعين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ قالت: ربنا يستنى لكن الشَّيْخ مَا يستناش. يعني ربنا قَدْ يُؤخر الإجابة وَهُوَ الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن الشَّيْخ يُجيب مُباشرة. هكذا يَغرسونَ في نفوس أتباعهم، ويقررون ذلك، ويقولون: إن مَنْ أنزل حاجته برَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُضيت ولابد، وما أنزلت حاجتك بالولي الفُلاني إلَّا قُضيت، أما الله فقد يُجيب وَقَدْ لا يُجيب، -وَقَدْ عرفنا معنى إجابة الدعاء عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما تقدم من دروس في دروس أُخرى-.

فيرجون في هؤلاء الأولياء أعظم من رجائهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويخافون خوف السر من هؤلاء الأولياء أعظم من خوفهم من الله، ولذلك يُمكن أن يحلفَ أحدهم بالله كاذبًا، لكن من المُحال أن يحلفَ بالولي كاذبًا، لأنهم يخافون خوف السر من هؤلاء أعظم من خوفهم من الله.

إذا عرفتَ هَذِه الأمور الأربعة تيقنتَ أن شِركَ هؤلاء المتأخرين ليس فقط مُطابقًا لشرك أُولَئِكَ المتقدمين في الفعل، بل هو أشدُ، بل هو أقبح، بل هو أولى بالنصوص الواردةِ في الشرك من شِرك أُولَئِكَ.

فإذا كان اللهُ قَدْ حكم على أُولَئِكَ المشركين بأنهم مشركونَ، وحكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، مع أَنَّهُم أخف شركًا من هؤلاء المتأخرين، فكيف بالحُكمِ على هؤلاء المتأخرين؟!

هذا الكلامُ كُلُّهُ مُتعلقٌ بمشابهة الفعلِ للفعلِ.

من الدرس القادم إِنْ شَاءَ اللهُ سنبدأُ مع أقوامٍ لا يُنازعونَ في مُشابهة الفعل للفعل، ويقولون ربما الصورة هِيَ الصورة، لكن يُنازعونَ في اتحاد الحُكمِ، فيقولون: لا نُسلمُ لك أن حُكم هؤلاء هو حُكم أُولَئِكَ، وأن هؤلاءِ مُشركين كما أن أُولَئِكَ مُشركون، وسيذكرونَ مانعًا، وسنناقشُ هذا بالعلم، مَا عندنا اعتداء، مَا عندنا كذب، مَا عندنا إلَّا العلم، مَا عندنا سَب وإتهام بالباطل، هَذِه حُجة المفلسين، المفلسون الذين مَا عندهم حجة يسبون ويتهمون مخالفيهم بالباطل ويكذبون عليهم لينفروا النَّاس منهم.

أما أهل السُّنَّةِ والجماعة فهم أعدلُ النَّاسِ مع النَّاس وأرحم النَّاسِ بالناس وَأعْلَمُ النَّاس بحقِ رب النَّاس.

فأسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُنيرَ بصائرنا، وأن يُثبتنا على التوحيدِ والسُنَة، وأنا أُأكد على مَا ذكرته سابقًا من الوصية بهذا الكتاب: ينبغي على الموحد أن يعتني بهذا الكتاب عنايةً عظيمة، وأن يحرصَ على فهمه، ليصونَ توحيده ولا سيما في هذا الزمان حيثُ أصبحت الشُبه تأتينا من كُل مكان بواسطة هَذِه الوسائل المُعاصرة، وصارَ مَنْ لا يفقه يتكلم وينتفخ؛ لأَنَهُ وحده لا يوجد مَنْ يرد عليه في مكانه.

فالموحد بحاجة إلى مَا يصونُ توحيدهُ، وليدعو غيرهُ لعل الله أن يُنقذَ بهِ ولو واحدًا من الشرك فيفوزَ فوزًا عظيمًا.

فوصيتي لأحبتي جميعًا ممن يحضرونَ وممن يستمعون وممن قَدْ يسمعون، أن يعتنوا بهذا الكتاب قراءةً وفهمًا وتكرارًا وتأكيدًا لتتحقق إِنْ شَاءَ اللهُ هاتان الفائدتان العظيمتان.

نقفُ عِنْدَ هذا الموطن، وَإِنْ شَاءَ اللهُ عندنا درس العصر في مكاننا المعتاد في شرح دليل الطالب.

تقبل الله من الجميع هذا المجلس، وجعل هذا المجلس شاهدًا لنا لا علينا، وجعله مما يسرنا عِنْدَ لقائه، أسألُ ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائه الحُسنى وصفاتهِ العُلا، كما جعلنا في هذا المجلس في مسجدِ رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إخوةً متجاورين، أن يجعلنا جميعًا في الجنةِ إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

هٰذَا، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.